بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السابعة

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أيها الإخوة والأخوات هذه هي المحاضرة السابعة من محاضرات العقيدة الإسلامية وقد كنا نتكلم في آخر محاضرتنا التي خلت عن أشراط الساعة وآخر ما تكلمنا عنه نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وقد أوضحنا الدلائل القاطعة الجازمة على أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يمت بعد كما هو واضح من نص كتاب الله عز وجل ونصوص السنة الصحيحة المطهرة وذكرنا الأدلة التي تؤكد أن من أشراط الساعة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويكون نزوله البرهان القاطع الذي ينهي الجدل واللجج اللذين تطاول أمدهما عبر قرون عن شخص عيسى عليه الصلاة والسلام ليثبت للناس جميعاً ما أثبته القرآن من أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد لربه وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم البتول عليهم الصلاة والسلام، وأشرنا إلى الفئة التي اصطنعتها بريطانيا وهي فئة القاديانية والتي طاب لها أن تدخل لغواً جديداً في دين الله سبحانه وتعالى فتلاعبوا بكتاب الله ما شاء لهم أن يتلاعبوا، وزعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام توفي كما يتوفى كل إنسان وأن الذي سيظهر قبيل قيام الساعة ليس عيسى وإنما هو شبيه عيسى عليه الصلاة والسلام ثم تساءلوا من هو شبيه عيسى؟ هذا فأجابوا: بأنه غلام أحمد القادياني وغلام أحمد هذا قد ظهر منذ سنوات طويلة ومات وادعى النبوة وادعى أنه شبيه عيسى الذي أنبأ الله بنزوله ودعا الناس إلى الإيمان به واتخذ لنفسه بلدة قاديان مثابة كمكة والمدينة ودعا الناس إلى حج بلدته بدلاً من الحج إلى بيت الله الحرام، وقلنا: إن هؤلاء يؤولون قول الله عز وجل (إني متوفيك ورافعك إلي) بأن كلمة متوفيك تعني الموت، وقلنا إن هذا التفسير خطأ لغوي وخطأ في تفسير كتاب الله فالوفاة في اللغة بمعنى استيفاء الشيء كاملاً والوفاة بمعنى الموت مجاز ولا تفسر الكلمة بمجاز إلا بعد تعذر الحقيقة، ويقول هؤلاء أيضاً في تأويل قوله تعالى (إني متوفيك ورافعك إلي) أنه رفع قدر ومكانة وليس رفع كيان كامل وأجبنا كل هذا تلخيص لمحاضرتنا الأخيرة بأن

هذا أيضاً يتعارض مع قاعدة من أبسط وأوضح قواعد اللغة العربية، فإن من المعلوم أن بل تقع بين النقيضين دائماً فتقول: فلان غير موجود بل غائب فلان غير عالم بل جاهل فلان ليس جائعاً بل هو شبعان وهكذا ولو أن إنساناً قال فلان لم يُقتل بل هو عالم لضحك الناس منه لأن كلمة عالم ليست نقيض لم يُقتل فقول الله عز وجل وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه لو فُسِرَ الرفع برفع القدر لما كان هنالك تعارض بين القتل وبين رفع القدر هذا كما يقول الإنسان لمن سأل: هل قُتل فلان؟ يقول: لا لم يُقتل فلان بل هو ذو مكانة عالية وإذا كان ذا مكانة عالية لا يتنافى مع أن يُقتل ثم كيف نفسر رفع القدر والله يقول (بل رفعه الله إليه) رفع القدر مع كلمة إليه يعني أن الله رفع قدره وما زال يرفعه وما زال يرفعه حتى أصبح قدره كقدر الله رفعه إليه وهذا يعني أن الله جعله إلهاً كلام متهافت لا يمكن أن يقبله عقل قط.

ولقد قرأت لهذا الإنسان كتاباً في غاية السخف ومن أغرب الغرائب أن يقرأه إنسان ثم لا يأخذ منه الضحك مأخذه فضلاً عن أن يؤمن به وبنبوته قرأت له كتاباً سماه (سفينة نوح) يقول في أولها: وكان قد دخل وباء الكوليرا آنذاك في الهند يقول إنه يشكر الحكومة البريطانية شكراً عظيماً على هذا اللقاح الذي جاءت به والذي تلقحه المواطنين جميعاً ليحصنهم ضد وباء الكوليرا يثني على بريطانيا الثناء العظيم ثم يقول وهذا شيء طيب ولكني اعتذر عن قبول هذا اللقاح لي وللمنتسبين إلى مذهبي لأن الوحي أنبأني أن كل من دخل في مذهبي هذا لا يحتاج إلى لقاح ولن يتسلل إليه هذا الوباء قط.

انظروا إلى هذا الكلام الذي حاول أن يستغل نقطة ضعف عند الناس من أجل أن يتهافتوا على مذهبه ليحصنوا أنفسهم بذلك ضد الكوليرا أنبأني الوحي الإلهي أن كل من دخل مذهبي وآمن بي فلن يجتاحه هذا الداء وليس بحاجة إلى مصل واقٍ منه ولكن المهم أيها الإخوة أن تعلموا سخرية القدر إلى أي مدى بلغت بهذا الإنسان الدجّال فقد مات هو نفسه بالكوليرا ومات بابشع حالة مات في بيت الخلاء نعم هذا الذي أنبأه الوحي أن الكوليرا لن تصيب إنساناً مؤمناً به وصدق الله القائل (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) هذا القدر أظنه كافٍ فيما يتعلق بالحديث عن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام كشرط من أشراط الساعة.

ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن ظهور خليقة اسمها(يأجوج ومأجوج) هذا الاسم ورد في القرآن ولا نعلم شيئاً عن طبيعة هذه الخليقة ولا شيئاً من صفاته لأن المسألة أمر غيبي فما جاءنا عبر نفق المنهج العلمي للغيبيات أخذنا به وما لم يأتينا من هذا النفق نكِلُ علمه إلى الله سبحانه وتعالى الباري سبحانه وتعالى يقول (حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد

الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) إلى آخر الآية ويقول الله عز وجل في أواخر سورة الكهف مستعرضاً قصة رحلة الإسكندر المقدوني الذي يسميه القرآن ذو القرنين يقول الله عز وجل (ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفثوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) أي يأجوج ومأجوج (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) إذن هذه الخليقة موجودون وبيننا وبينهم سد كما يقول الله عز وجل فإذا جاءت اللحظة التي لا يعلم ميقاتها إلا الله تهاوى هذا السد وانتصر هؤلاء المخلوقات في الأرض وأفسدوا الحرث والنسل كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث عنه أحاديث كثيرة يضيق الوقت عن استعراضها ،لكن من جملة ما يقوله المصطفى عليه الصلاة والسلام أنهم يتجهون ويصلون إلى بحيرة طبرية فيشربون ماءها وتجف هذه البحيرة فيصل آخرهم وقد جُفَ الماء في هذه البحيرة فيقول آخرهم وصولاً لقد كان في هذه البحيرة يوماً ماء ثم إن الله يرسل عليهم النغف نوع من الحشرات الجوية، ويكون هلاك هذه الخليقة بواسطة هذه الحيوانات هذا أمر غيبي أيضاً، ولولا أن القرآن أخبرنا عنه لما كان لنا أن نقول شيئاً من هذا الكلام ولحصَّنَا عقلنا ضد الحديث عنه ولكن الصادق المصدوق جلّ جلاله أخبرنا في كتابه الذي عرفنا أنه كلام الله حقاً ،أن هذه الخليقة ستظهر يوماً ما إذن فهذا كلام حق نؤمن به ونكل ميقات ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

نعم وأيضاً من أشراط الساعة الكبرى التي ينبغي أن نعلمها طلوع الشمس أي ظهور الشمس صباحاً من المغرب بدلاً من ظهورها كما تعودنا من المشرق هذا أيضاً مما أوضحه رسول الله في أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر المعنوي. ولكن قد يسأل ها هنا سائل كيف تشرق الشمس من مغربها وما هو التفسير العلمي لذلك ونحن نعلم أن الأرض تدور ومن دوران الأرض تتكون هذه الظاهرة التي نراها ظهور الشمس صباحاً من المشرق وغروبها مساء من المغرب فالشمس هي لا تتحرك لا يمنة ولا يسرة؟

هذا ما قد يعترض بمعترض أو يسأله سائل فكيف نفسر ذلك؟ لا إشكال أيها الإخوة والأخوات في هذا الصدد، فلئن كانت حركة الأرض تسير بشكل معين وعلى أساس ذلك تبدو

الشمس مشرقة من هنا غاربة من هناك فإن الله عز وجل عندما يشاء يجعل الأرض تتحرك حركة معاكسة ومن جراء هذه الحركة المعاكسة يرى الناس حركة الشمس أيضاً معاكسة فيرونها تشرق من الغرب بدلاً من الشرق .

وحركة الأفلاك في جملتها وفي تفصيلها آية من آيات الله عز وجل وتغيير نظام هذه الحركة عندما يشاء الله أن يتحقق إنما هو دليل علمي على أن الطبيعة ليست إله نفسها وليست هي التي تسيّر نفسها فليست حركة الطبيعة أمراً آلياً حتمياً لكن هذه الحركة إنما تتم بمحرك ومدبر هو الله فما أشبه الكون بالقطار الذي يسوقه قائده قد يظن الأحمق وهو يرى القطار متجهاً هكذا أن من المستحيل أن يعود القطار فيكِرْ ويسير معاكساً ولكنه عندما يرى أن القطار توقف ثم عاد فسار سيراً معاكساً يلتفت بعد ذلك ليتأمل في القائد هذه هي الحكمة من آيات الله سبحانه وتعالى هذه بعض من الآيات الكبرى التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم أشراطاً أي علامات للساعة يجب أن نعرفها ويجب أن نكون مصدقين بها ولا يجوز للإنسان إطلاقاً أن يرتاب في شيء من ذلك وما يمكن عقلياً وعلمياً لإنسان آمن بالله أولاً وآمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثانياً ثم آمن بأن القرآن كلام الله ثالثاً إلا أن يصدق خبر القرآن هذا التسلسل العلمي يقضي به العقل .

بقية الآيات نَكِل الإخوة المشاهدين إلى الرجوع إليها تفصيلاً إذا شاؤوا إلا أننا تحدثنا عن أهم هذه الآيات بعد هذا ننتقل إلى مسألة أخرى من مسائل الغيبيات وإلى أخطرها على الإطلاق ألا وهو قيام الساعة والأحداث التي تتعلق بقيام الساعة هنا ألفت النظر إلى ما نريد أن نتكلم فيه أولاً ما معنى قيام الساعة؟ ولماذا سميت بالساعة ثانياً؟ ما هو الدليل العلمي على قيام الساعة مع العلم بأن الدليل ينبغي أن يكون منسجماً معه فهو غيب من الغيوب؟ سنتكلم إذن عن معنى قيام الساعة وعن الأدلة عليها أولاً كلمة قيام الساعة تطلق على مرحلتين اثنتين الأولى منهما تسبق الأخرى المرحلة الأولى مرحلة الدمار وتناثر هذا الكون بعد انتظامه على الشكل الذي نراه والمرحلة الثانية ولا ندري المدة التي تقوم بين هاتين المرحلتين والتي تفصل بينهما الله أعلم بذلك المرحلة الثانية هي إعادة بناء الله الكون على نسقٍ جديد والمرحلة الأولى تتم بنفخ في الصور والثانية تتم أيضاً بنفخٍ في الصور ونقرأ في هذا قول الله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) إذن هنالك نفختان في الصور الأول نفخ يؤذن بالدمار والتشتت وهلاك كل شيء والنفخ الثاني يعيد هذه الأطلال وهذا الشتات مرة أخرى إلى النظام لكن لا على هذا النسق الذي نراه نظام جديد وفي هذا يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض

والسموات) أي (والسموات غير السموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهنا أحب أن أجيب على خاطرة قد تقفز إلى أذهان بعض منكم ما معنى نفخ الصور ومن هو الذي ينفخ في الصور ولماذا أولاً الملك الذي كُلف بهذا أو وُظِفَ بهذا هو إسرافيل عليه الصلاة والسلام هنالك ملك وُظِفَ بهذا وهنالك صور والصور في اللغة بمعنى البوق لكن أي بوق هذا وما مدى عظمته وكيف هو وما حقيقة هذا النفخ الذي تطاير من جرائه المكونات وتتناثر الأمر أيها الإخوة إنما هو عبارة عن لا أقول رمز لأن هنالك نفخاً حقيقياً وهنالك صوراً حقيقياً ولكنه تجسيد لقدرة الله بصورة فالذي يهلك كل شيء هو الله والذي ينهي هذه الحياة وعلاقة ما بين الذرة والذرة هو الله عز وجل ولكن قلنا إن الله أقام هذه الحياة على نظام الأسباب والمسببات وعوّد الإنسان على هذا المعنى ومن ثم فقد شاءت حكمت الله عز وجل أو شاء الله بحكمته أن يجعل قيام الساعة بنفخ في الصور ولعل الرمز الذي يدخل إلى ذهن الإنسان هو أن نتصور أن هذه الشوامخ من الجبال وهذه الأرض الراسية وهذه الأبنية الراسخة إن ذلك كله أمام قدرة الله إلا كهباءة نفختها في فمك فتطاير الهباء يمنة ويسرة لكي نتصور ضحالة هذا الكون أمام قدرة الله بقي أن نتساءل هذا الهلاك أو الدمار الذي يتم عند النفخ الأول في الصور وهو المرحلة الأولى من مرحلتي قيام الساعة هل يعني انعدام الأشياء ثم إنها تُخلق خلقاً آخر من جديد أم يعني التفكك والتلاشي الجواب أغلب الظن فيما يذكره العلماء وهذه مسألة اجتهادية أن الهلاك الذي نص عليه البيان الإلهي في القرآن إنما يقصد به التلاشي والتناثر والتفكك فهو المعني بقول الله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهو المعني أيضاً بقوله سبحانه وتعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) فليس حتماً أن نفسر الهلاك بالانعدام لأن اللغة العربية تطلق كلمة الهلاك على تناثر الشيء واضمحلاله بحيث آل إلى عدم صلاحية فتقول هلك هذا الثوب الذي عندي أو فَنِيَ أي لم يعد صالحاً ولا يشترط لكي نسمي الثوب بفانٍ أو هالك أن ينعدم نهائياً وهذا قد يتفق مع نظرية العلماء الفيزيائيين في نظرية الفيزياء الحديثة أن المادة طاقة والطاقة تتلاشى ولا يقولون عنها تنعدم تتلاشى تتفكك ولكننا نقول إن الله يقدر أن يعدمها كما خُلِقَتْ من العدم تعود إلى العدم ولكن لا مانع من أن نفسر قيام الساعة في مرحلة الهلاك والتناثر بهذا المعنى الفيزيائي أي أن المادة وهي طاقة متماسكة الأجزاء تتفكك وتتلاشى ويزول مما بينها سر هذا التماسك وهو إلى الآن سر مجهول فأنت لا تدري ما الذي يجعل ذرات الحجر تتضام وتتجمع إلى بعضها وتكون طبيعة غير طبيعة الخشب هنالك ما يسمى بالوسيط الساكن أو يسمونه الآن بالهيولة أو الجوهر كل ذلك مجهول هذا الوسيط يستله الله عندما يشاء وإذا بالحجارة والصخور والجبال كلها أجزاء مفككة نعم ولذلك

يشبه الله الجبال إذ تقوم الساعة بالعهن المنفوش نعم لأن السر الذي كان يجمع هذه الذرات إلى بعضها استلّه الله منها وهو سر مجهول وأغلب الظن أنه يبقى مجهولاً لأننا لا نعلم من المادة إلا ظاهراتها أما الجوهر فهو أبعد ما يكون عن المعرفة وهذا الجهل يعترف به إلى اليوم الماديون الجدليون قبل غيرهم لينين يعترف في كتابه الدفاتر الفلسفية بأن الجوهر شيء لا يعرفه الإنسان ولا بد من محاولة تاريخية طويلة الأمد حتى يصل الإنسان إلى معرفة ما يسمى بالجوهر ثم يأتي النفخ الثاني ولا يعلم أحد الأمد الذي بين النفختين إلا الله تأتي النفخة الثانية لتعيد نظاماً جديداً إلى الكون ولتشرق الأرض بنور ربها كما قال الله سبحانه وتعالى والآن ما الدليل على أن هذه الحياة الثانية ستكون وأن الساعة حق نسيت أن أقول لكم لماذا يسمي الله عز وجل هذه النشأة الثانية بالساعة هذا اسم قرآني (اقتربت الساعة وانشق القمر) (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) يسميها الله الساعة لأن الإنسان إذا فوجئ بها تتلاشى أمامه وفي مخيلته يتلاشى تاريخ الزمن كله وكأنه يرى أن الزمن الماضي كله ذاب ثم ذاب وحصر الزمن في هذه الساعة الرهيبة جداً والتي يحتشد فيها الخلائق أجمع فكأن الزمن الذي يجدر بأن يسمى زمناً وساعة هو هذا الميقات الرهيب الذي أخبر به الله سبحانه وتعالى ما الدليل على هذا الأمر على أن الساعة حق وعلى أن الكون إذا تلاشى ستعود الحياة مرة أخرى وسيعود الكون إلى نشأة جديدة سنذكر دليلين اثنين الأول نستعرض بعضاً من نصوص القرآن الكريم ثانياً دليل عقلي يخضع لقانون التلازم الذي ذكرناه في أول محاضرة لنا ونحن نتحدث عن منهج المعرفة أيها السادة نظراً إلى أن أخطر غيب تلقّاه عقل الإنسان هو قيام الساعة أخطر غيب من ناحية الغرابة فمهما تصورت شيئاً غريباً لن تتصور أغرب من قصة النشأة الثانية هو أخطر غيب من حيث رهبة ما يُفاجئ الإنسان ويواجهه آنذاك المصير الخطير جداً الذي تضمحل فيه حياة الإنسان السابقة أمامه هو أخطر غيب أيضاً بسبب أن الإنسان يعيش في نظام جديد ليس بينه وبين نظام هذه الحياة أي صلة بشكل من الأشكال فنظراً إلى أن الإنسان لم يتلقَ غيباً خبراً غيبياً أخطر ولا أرهب من هذا الخطر فإن القرآن دائماً يركز ويكرر ويؤكد على أن هذا اليوم آتٍ لا ريب فيه ليكون هنالك تناسب بين غرابة هذا الخبر وبين الأدلة القوية على تحقق وصدق هذا الخبر وعندما نقرأ القرآن لاحظوا لا تكاد تمر على صفحتين أو ثلاث صفحات إلا وتجد حديثاً متجدداً يؤكد الله عز وجل فيه أن يوم القيامة سيأتي وأن الإنسان على ميعاد مع هذا اليوم دعونا نستعرض بعض هذه الآيات لتجدوا الأسلوب أولاً ولتجدوا كيفية التأكيد الإلهي على هذا اليوم وميقاته ثانياً يقول مثلاً (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله قيلاً) لاحظوا التأكيد الذي

غمست فيه هذه الآية غمساً (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم) اللام لام القسم في أول الفعل والنون نون التوكيد في آخر الفعل ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه تأكيد آخر ويقول الله عز وجل في أسلوب ثانٍ بنَفَس أطول (ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أُخرَجُ حياً) ويجيبه الرب جل جلاله قائلاً (أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئاً فوربك لنحشرنهم) انظروا إلى القسم (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليّاً وإن منكم إلا واردها) أي مارٌ على النار (كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) وبأسلوب آخر ينبه العقل إلى برهان عقلي على أن الدنيا ليست هي الفصل الأول والأخير لقصة الحياة لا سيما وقد آمنت بوجود الإله الحكيم الذي لا يعبث يقول (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) هذا لا يمكن أن يكون وانظروا إلى طريقة أخرى طريقة الحوار الهادئ وما أشبه هذا الطريق الآخر أو الطريقة الأخرى بطريقة أستاذ نبه تلميذه ولله المثل الأعلى للتقريب أقول نبّه تلميذه إلى مسألة أكثر من عشرين مرة فلم ينتبه لها ثم جاء فأجلسه أمامه وأخذ يعود فيؤكد له المعنى بطريق عقلاني ليتشرب عقله الكلام انظروا (يا أيها الناس) الأسلوب ذو النَفَس الطويل الحواري العلمي (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) يعني اسمعوا (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) لاحظوا أيها الإخوة تسلسل المؤكدات أعيد (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) ماذا يريد الإنسان تأكيداً من خالقه أكثر من هذا ويعود البيان الإلهي فيقول بأسلوب آخر أخّاذ مختصر وجيز (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) كأن الإنسان لم يستفد من الحوار الطويل من الأدلة العلمية من الصور الكونية ظل راكباً رأسه فماذا يقول له البيان الإلهي بعد كل هذا (لكل نبأ مستقر) اعتقدوا ما تشاؤون ومارسوا الفكر الذي ترغبون كل خبر أقوله لكم سيأتي يوم يستقر فيه دليل صدقه (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) ومن هذا القبيل أيضاً من هذا الأسلوب الأخير قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيمَ أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من

يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) هذا هو الدليل الأول دليل متكرر وتصرّف البيان الإلهي فيه كما يقول (ولقد صرّفنا فيه من الوعيد) متفناً فيه، على أن الله ألزم نفسه بهذا ولا بد أن يتحقق هذا الميعاد

الدليل الثاني دليل عقلي يضعه أمامنا قانون التلازم لكن هذا الدليل العقلي لا يفيد إلا من آمن بالله عز وجل وطبعاً الرجل الملحد لا نكلمه عن قيام الساعة ومن العبث أن تقول له أن الساعة ستقوم وهو لم يؤمن بالله هذا كمن يحاول أن يبني الدور الرابع ولم يقم الأساس بعد نعم لكن من آمن بالله عز وجل إيماناً حقيقياً ينفعه نفعاً عظيماً هذا الدليل العقلي ما هو الإله حكيم ولا شك وهذه الحياة التي نراها ونرقبها عن كثب نجد فيها الظالم الذي يعبث ويظلم كما يحب دون أن يأتي من يضرب على يده ونجد فيها المظلوم المستضعف الذي لا نجد من يأتي فينتصر له نجد الإنسان الغني البازخ في حياته الذي يتقلب بالنعيم ويطغى به ونجد الإنسان الفقير بل نجد الإنسان المبتلي المشوه نجد هذا العالم الدنيوي مسرحاً لهذه الصور كلها فلئن تصورنا أن هذه الحياة هي الفصل الأول والأخير من قصة حياة الإنسان فقد نسبت إلى الله عز وجل عبثاً ولا عبث الأطفال نسبت إليه وهو العادل العبث والظلم نسبت إليه وهو الحكيم نقيض الحكمة ونحن نعلم أننا نبرئ الأطفال من هذا التصور أرأيت لو أنك دعيت إلى مسرحية في مدرسة ثانوية ألفها الطلاب التلامذة الصغار ودعي أولياء الطلاب إلى حضور هذه المسرحية التي ألفها الطلاب ويمثلها الطلاب وحضرنا نحن كأولياء هذه المسرحية وبدأ الستارة ارتفعت وأخذنا نرى الأحداث ماذا رأينا رأينا إنساناً سطا على آخر فقتله ورأى إنساناً آخر سرق مالاً لآخر ورأينا صوراً من هذا القبيل وقعت ترى الذي قُتل من الذي سينتصر له لم نعلم الذي سُرق ماله ماذا كانت النتيجة لم نعلم بعد نصف ساعة أسدل الستار ما أعتقد أن واحداً من الحاضرين يقوم ويقول لقد انتهت المسرحية فلنذهب كل منهم سيقول لا بد أن ها هنا سنجد فصلاً ثانياً لنعلم ماذا كان نتيجة القاتل وكيف يعني أخذت العدالة الحق منه ولنعلم مصير الإنسان الذي سرق ماله لماذا نفترض هذا لأننا نعلم أن هؤلاء الذين ألفوا هذه المسرحية وإن كانوا أطفالاً صغاراً لكنهم عقلاء ولا يعبثون لا بد أنهم هادفون في هذا إلى أمر ولذلك فحتى لو لم يعلنوا أن المسرحية مؤلفة مثلاً من ثلاثة فصول واقع الفصل الأول ينم على أن هنالك فصلاً ثانياً يا عجباً نحن ننزه أطفالنا عن هذا العبث ومن ثم فنحن نعلم أن هذا الفصل لا بد أن يعقبه فصل آخر ولا ننزه ربنا ورب الأطفال وقيوم السموات والأرض وخالق هذا الكون خالق العدالة والمثل الأعلى في العدالة والحكمة لا ننزهه عن العبث نتصور أن هذه الحياة إذا طويت فستزول بخيرها وشرها وتنتهي قصة

حياة الإنسان وكل منا قد عاش نصيبه هذا يكون في عالم لا إله فيه الملحد ممكن أن يتطوح في هذه التصورات الخرافية وهو معذور بعد إلحاده لكن الذي آمن بالله عز وجل لا يمكن إطلاقاً وهو العاقل أن يكون معذوراً في تصور أن هذه الحياة هي الفصل الأول والأخير وأن الموت هو الغلاف الأخير لقصة حياة الإنسان إذن هذا هو الدليل على قيام الساعة وهو على الرغم من أنه غيب وأخطر أنواع الغيوب إلا أن دليله يغطيه دليل علمي قاسم قاطع من الخبر اليقيني في كتاب الله ومن قانون التلازم هذا الآن إذن آمنا بقيام الساعة فلندرس سلسلة أحداث قيام الساعة أولاً حشر الأجساد لا بد أن تعود الأجساد كما كانت ولا بد أن تعود إليها أرواحها كل جسد تعود إليه روحه ونحن نتكلم عن الإنسان لا نتكلم في هذا الصدد عن الحيوانات وإن كانت الحيوانات أيضاً تعاد ثم تهلك وتموت مرة أخرى تنعدم يعني لكن السؤال ها هنا في نقطة علمية ما معنى أن الأجساد تعود هل نفس الذرات التي كان يعيش بها الإنسان أم ذرات أخرى وهذا السؤال يجر إلى سؤال آخر رب إنسان يموت حرقاً فتتلاشى ذراته وتستحيل إلى رماد ورب إنسان ابتلعه حوت مثلاً ومضغ ثم هضم فتحول إلى لحم أو إلى شيء آخر في كيان هذا الحوت هذا السؤال يفرض نفسه فما الجواب الجواب أولاً أيها السادة نحن نسأل ونحن لا نزال في دار الدنيا ولا نزال نعيش حياتنا هل الإنسان الجسد عبارة عن مجموع ذرات من أول ولادته إلى آخر حياته لا تتبدل لا خلايا الإنسان في كل يوم تتجدد فجسدي الآن قبل جسدي قبل سنوات طويلة وجسدي آنذاك غير جسدي تبدل وتغير هذا الجسد ونسيج الخلايا فيه مرات كثيرة منذ الولادة إلى الآن والجسد لا قيمة له إلا أنه بريد لشعور فالله عز وجل إذا حشر الناس وأعاد إليهم أرواحهم يعيد كل روح إلى الجسد الذي كانت مرتبطة به في دار الدنيا سواء خلق الله له خلايا وذرات جديدة أم جمع ذراته التي عاش بها في دار الدنيا والأمر سواء لا إشكال في هذا أبداً بل أنا أقول ما المشكلة في أن يخلق الله عز وجل للإنسان ذرات جديدة أحدنا قد يحترق كثير من جسده فيتلاشى الجسد ثم إن الله عز وجل يخلق له نسيجاً جديداً بخلايا جديدة لكن هذا النسيج هو جسده ولا يزال مرتبطاً بروحه ،المهم أن هذا الجسد الذي ينشئه الله مرتبط لحساب روحه في الدنيا هذا هو المهم ولا إشكال في هذا الصدد قط.

يجب أن نعلم إذن أن النشأة الثانية التي هي اسم آخر من أسماء الساعة وقيامها نشأة جسد وروح معاً فليست اليوم الآخر يوماً تتمتع أو تتعذب فيه الأرواح لا بل تعود فيها الأرواح إلى الأجساد ومن تصور أن يوم القيامة مثابة للأرواح فقط فقد كفر وجحد بالله عز وجل ذلك لأنه قد ناقض القرآن مناقضة حادة وكل من ناقض نصاً من نصوص القرآن كفر قولاً واحداً القرآن عندما يتحدث

عن النشأة الثانية يركز على أنه يعيد الأرواح إلى الأجساد سواء كانت الذرات الجديدة أو الذرات القديمة لا إشكال في هذا وانظروا إلى قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه) إذن المسألة مسألة إعادة بناء لكيانٍ جسدي ثم إعادة الروح إلى هذا الجسد وما أغرب وما أعظم وأدق هذا الكلام (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) نركبها مرة أخرى بلى نحن قادرون على ما هو أدق قادرين على أن نسوي بنانه وتلاحظون المعنى المراد بهذا فتعاريج كل إنسان مختلفة عن تعاريج بنان الإنسان الآخر ولكن الله أخذ على نفسه وذاته العلية أن يعيد تعاريج بنان كل منا كما كان في دار الدنيا كما كان في دار الدنيا فهو قادر إذن هذا دليل على أن النشأة الثانية تكون للروح وللجسد معاً وعندما استغرب أحد المشركين هذا وجاء إلى رسول الله بقطعة عظم نخرة فأخذ يفتتها وينفخ ترابها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً أتزعم أن ربك يحشر هذا ((فقال له يحشرها ويحشرك ويدخلك النار)) وأنزل الله قوله (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إذن هذا هو المعني بالحشر حشر الأجساد والأرواح معاً إذا حشر الناس أين يحشرون وأين يجتمعون الله عز وجل يقول (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) إذن يحشرون على أرض لكنها ليست هذه الأرض هي أعظم منها بما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل لأنها أرض تحتضن الأجيال كلها جيلاً إثر جيل إثر جيل إثر جيل كلهم يحتشدون في هذا المكان فلا بد أنها أرض واسعة كل السعة لكن كيفيتها تصور هذه الأرض أمر لا نعلمه ويوشك أن نعلمه في ميقاته المحدد عندما يشاء الله سبحانه وتعالى هنا ننتقل إلى مسألة أخرى من مسائل الغيبيات وهو هول الموقف وعظائمه عندما يحشر الناس حشرهم وحده يدخل الرهبة التي لا توصف في القلوب لأن الإنسان يكون قد أمضى حياته كلها وهو غير متهيئ لهذا اليوم فإذا قام من ترابه وخرج من جدثه كما يقول الله عز وجل (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) تعالى الصراخ وعلموا أن هذا هو الحق الذي جاء به الرسل وكانوا بين مصدق ومرتاب وبين ساخر وبين غير مبالٍ منها هو هذا الميقات قد حدث هذا نفسه يدخل رعباً شديداً في القلوب، ثم إن الألم يتضاعف من أشياء أخرى الإزدحام الشديد الشديد جداً جداً حتى إن العرق ليكاد يلجم الناس وليكاد يغرق كثير من الناس بالعرق كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وقد ورد في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام ((قال فيما ترويه عائشة رضي الله عنها يحشر الناس حفاة عراة غرلاً. أي: غير مختونين، فقالت عائشة هكذا الناس ينظر بعضهم لبعض فقال لها يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر الناس بعضهم لبعض)) وهذا ما عناه البيان

الإلهي بقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) فليس هنالك مجال لأن يسال أب عن ابن أو أم عن ابنة إطلاقاً بل انظروا في تصوير هذا الهلع إلى قوله عز وجل (إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي لو قدّر وجود مرضعة لا مرضعة آنذاك لو قدر وجود مرضعة تحنو على رضيعها لذهلت هذه المرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فالازدحام ازدحام الخلائق وحرارة الشمس التي تتضاعف ودنوها قدراً الله أعلم به من رؤوس الخلائق والظمأ الذي يأخذ بالأكباد والخوف من المصير وطول الموقف كل ذلك من مظاهر هذا الهول الذي لا يمكن أن يصفه إنسان إلا عندما يراه أمر لا مجال لإنكاره أيها الإخوة ولا معنى للارتياب فيه شيء نحن مقبلون عليه طابور ونحن منضبطون به والنتيجة حتمية ما معنى أن نتجاهله وما معنى أن نغمض العين عن شيء نحن سائرون بشكل آلي إليه ولكن أقول بعد هذا شيئاً آخر هل الناس كلهم في ذلك الصعيد يعانون من هذا الهول الشديد من هذا الظمأ المتناهي من هذا العذاب المطبق لا هنالك فئات الله أعلم بها يجعلها الله عز وجل في منجاة وفي مأمن من هذا الهول مهما طال هذا الموقف من هم هم الذين قال الله عز وجل عنهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حثيثها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) هؤلاء أناس بأعيانهم يرحمهم الله عز وجل وقد رحمهم في الدنيا وخبأ لهم قدراً كبيراً من هذه الرحمة إلى ذلك اليوم إلى ذلك الميقات فإن ظمأ الناس لا يظمئون ولئن أخذ الناس عذاب الحر لا يعانون من شيء من ذلك ولئن ألجم الناس بالعرق لا يشعرون بشيء من هذا يستظلون بظل الله يوم لا ظل إلا ظله وقد أنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض من هؤلاء وهم الأصناف السبعة الذين ذكرهم المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله)) إلى آخر الحديث يجب أن نعلم هذا ونسأل الله بفضله ومنّه أن يجعلنا من هؤلاء المرحومين في ذلك اليوم.

نعم الشيء الآخر الذي ينبغي أن نعلمه هو الحساب،وقد سماه الله من جملة أسماء يوم القيامة الحساب (هذا ما توعدون اليوم الحساب) وما أكثر ما يكرر القرآن تسمية هذا اليوم بأنه يوم الحساب وأصل هذا الموقف موضوعه الحساب هو فيصل ما بين الحياة البرزخية والاستقرار إن في النعيم أو العذاب الشيء الذي ينتظرهم الحساب والحساب هو يذكر الله كل عبد عبد على حدة بما فعل ويضعه أمام البينات المادية على أعماله وتصرفاته التي قام بها ويجعل من هذه الوثائق المادية

شاهداً له أو شاهداً عليه هذا هو معنى الحساب وكل إنسان يخيل إليه أنه وحده الذي يحاسبه الله عز وجل ولا يقولن قائل كيف يتم محاسبة ملايين الملايين الملايين أجيال متطاولة هذا شيء لا نستطيع أصلاً أن نضع عقلنا لمحاكمته فهو فوق طاقتنا العقلية التي نتمتع بها اليوم، نعم ولكن هذا الحساب أمر حق ونص القرآن بل نصوص القرآن جازمة بذلك نعم يقول الله سبحانه وتعالى (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) هنالك إذن حساب قد تقولون ما هي البينات التي يبرزها الله للعبد هي بينات الكتب التي كان يكتبها الملكان الرقيبان على كل فرد فرد من الناس نعم وهذه الكتب ما هي وما طبيعتها هل هو سجل مسموع أو سجل مرئي ومسموع كهذه السجلات اليوم بل هو أيها الإخوة سجل مرئي ومسموع ومجسد يرى الإنسان من خلاله نفسه بكل الأحداث التي سبقت ولا يقولن كيف فشاهد ذلك اليوم يفسر كل شيء وانظروا إلى قول الله عز وجل (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وانظروا إلى قول الله عز وجل في سورة الكهف (ووضع الكتاب كل إنسان على حدة فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) ولعل هذه هي الحكمة من أن الله وظف ملكين لكل منا يكتبان حسناته وسيئاته أحدهما يكتب الحسنات والآخر السيئات ما الحاجة والله عليم لا حاجة لكن الله عز وجل آل على ذاته العلية أن لا يحاسبنا بمقتضى علمه بل آل على ذاته أن يحاسبنا بمقتضى البينات أي كما كلف الحكام في دار الدنيا والقضاة أن لا يقضوا بين الناس بموجب قناعاتهم العلمية فقد آل على ذاته هو الآخر أن يقضي بين الناس بهذا والحمد لله رب العالمين.